الفصل الخامس

قصة النبي ﷺ مع اليهود

جماعات يهودية وليسوا يهودا :

بداية يجب التأكيد على أن اليهود ليسوا سواء عبر الزمان والمكان فهناك سمات مميزة عرقيا وثقافيا ودينيا لكل جماعة ، فالعبرانيون اليهود غير يهود السبي البابلي غير يهود السبي الروماني غير يهود المدينة على عهد النبي غير اليهود الصهاينة في العصر الحديث فاليهود على اختلاف الزمان لم يمثلوا جماعة واحدة موحدة دينيا ، وثقافيا وعرقيا " ونحن نذهب إلى أن العبرانيين أي اليهود القدامى ، كانوا يشكلون وحدة ثقافية وإثنية تتسم بقدر من التماسك والتجانس والوحدة .

ولكن مع انتشار اليهود في أرجاء العالم في مجتمعات مختلفة ، لكلٍّ تقاليدها الحضارية والدينية ، وتواريخها ، تَفاعَل اليهود مع هذه التقاليد والتواريخ وخضعوا لمؤثراتها ، شأنهم شأن كل الأقليات والبشر .

وقد بدأت عملية الانتشار مع التهجير البابلي ، ولكن وتيرتها تصاعدت مع ظهور الحضارة الهيلينية والرومانية .

وقد اكتملت عملية الانتشار والتَفرُّق مع هدم الهيكل في عام ٧٠م على يد تيتوس، وكذلك سقوط العبادة القربانية المركزية وأية سلطة دينية مركزية يهودية. وقد تَحوَّل

اليهود نتيجة هذه العملية إلى جماعات مختلفة متفرقة غير متجانسة. ونحن نفضل استخدام مصطلح «جماعات يهودية» على مصطلح «يهود» لأن المصطلح الأخير يؤكد التَماسُك والتَجانُس والوحدة حيث لا تَماسُك ولا تَجانُس ولا وحدة " (١)

وعليه فإن بني إسرائيل أتباع موسى عليه السلام ، واليهود إبان سيدنا عيسى ، واليهود على عهد سيدنا محمد ، واليهود الصهاينة في العصر الحديث ليسوا سواء عرقيا وإن كانت هناك صفات أخلاقية كثيرة مشتركه بينهم – وقد سبق الإشارة إليها – فكأن هذه الصفات جزء من العقيدة اليهودية يتخلق بها كل من تهوَّد مهما كان أصله وجنسه :

إن ثمة اختلافات جوهرية كثيرة بين اليهود أهمها الاختلافات العرقية ، والعقائدية، والإستراتيجية .

فيهود المدينة ليسوا أحفادا لبني إسرائيل ، و القرآن الكريم حرص على التفريق بينهم في الخطاب ، والإنجيل نفسه يبطل زعمهم بأن اليهود سواء في التاريخ .

فقد جاء في سفر الرؤيا أن المسيح طلب من يوحنا أن يرسل رسالة إلى ملاك الكنيسة في سميرنا يقول له فيها على لسان المسيح " إني أعلم كم تقاسي من ضيق وفقر رغم أنك غني ، وأعلم تجريح الذين يدَّعون أنهم يهود ولكنهم ليسوا يهودا بل هم مجمع للشيطان "

ورسالته إلى فيلادلفيا خاطب فيها يسوع ملاك الكنيسة فيها قائلا " إني عالم بأعمالك فمع أن لك قوة ضئيلة فقد أطعت كلمتي ولم تنكر اسمي ولذلك فتحت لك بابا لا يقدر أحد أن يغلقه أما الذين هم من مجمع الشيطان ويدّعون أنهم يهود فسأجبرهم على أن يسجدوا تحت قدميك "

(١) عبد الوهاب المسيري " موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " م٢/ ج٢/ الباب الربع : الجماعات اليهودية .

وكذلك اليهود الصهاينة اليوم ليسوا أحفادا ليهود المدينة عرقيا وعقائديا ، فهم فقط أحفادهم في الاسم و الإثم .

سيكون حديثنا عن بني إسرائيل في القرآن الكريم ، ثم في التاريخ الإنساني – لا التاريخ التوراتي – لنعرف هل بنو إسرائيل هم الضحية فعلا أم هم المسئولون عما جرى لهم ؟

قصة بني إسرائيل في القرآن الكريم

بعد أن تحالف بنو إسرائيل مع أعداء المصريين استعبدهم فرعون مصر – رمسيس الثاني – وسامهم سوء العذاب ، ومَنَّ الله عليهم بالنجاة من فرعون لعلهم يعبدونه ولا يشركون به أحدا .

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾(البقرة : ٤٩)

وعفا الله عنهم وأنقذهم من فرعون وفرق لهم البحر لعلهم يشكرون أنعُم الله ولكنهم كفروا بالله وعبدوا العجل .

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾(الأعراف : ١٣٨)

وعندما ذهب موسى لميقات ربه ليأتي لهم بالتوراة استغلوا غيابه وعبدوا العجل رغم أنهم كانوا حديثي عهد بمعجزة كبرى وهي شق البحر .

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ {٥٠} وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾(البقرة : ٥٠، ٥١)

ومن رحمة الله تعالى أن عفا عنهم ، وغفر لهم عبادتهم العجل لعلهم يشكرون .

﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة : ٥٢)

لكنهم لم يشكروا الله على عظيم نعمه عليهم ، وطلبوا ما ليس لهم بحق طلبوا أن يروا الله جهرة ليؤمنوا مع أن رؤيتهم لله تتناقض مع الإيمان به فالإيمان يكون بالغيب، وعاقبهم الله بأن أماتهم جميعا بالصاعقة ، ثم عفا عنهم وأحياهم لعلهم يشكرون .

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ {٥٥} ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة : ٥٥ ، ٥٦)

وأنعم الله عليهم بالسحاب يقيهم حرارة الشمس ، وأنزل عليهم من طيباته : المن والسلوى ، و فجر لهم عيون الماء .

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(البقرة : ٥٧)

وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾

(البقرة : ٦٠)

ومع ذلك لم يشكروا الله على جزيل نعمه بل اعترضوا على طيبات الله واستبدلوا الذي هو أدني بالذي هو خير فكان جزاؤهم أن كتب الله عليهم الذل والمسكنة وباءوا بغضب من الله .

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ

مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ (البقر : ٦١)

وأخذ الله تعالى عليهم الميثاق بألا يعبدون إلا الله ، وبر الوالدين ، وصلة الرحم ، والإحسان لليتامى والمساكين ، ومعاملة كافة الناس بالحسنى ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وعدم قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، لكنهم نكثوا عهد الله وعصوا أوامره ، فسفكوا الدماء ، وطردوا الأبرياء من ديارهم وتظاهروا عليهم بالإثم والعدوان فحكم الله تعالى على من فعل ذلك منهم بالخزي في الحياة الدنيا ، وبأشد العذاب يوم القيامة.

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ {٨٣} وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ {٨٤} ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ {٨٥} أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة : الآيات من ٨٣ : ٨٦) .

ومع ما في هذا الميثاق العظيم من تعاليم إلهية جليلة رفضوه فهددهم الله بجبل الطور لقبوله ، لكنهم سمعوا مكرهين وعصوا كافرين .

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَآ آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾(البقرة : ٩٣)

فكان عقاب الله تعالى لهم بأن مسخ قوما منهم قردة وخنازير .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَـئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ ﴾(المائدة : ٥٩ ، ٦٠)

وسلط عليهم من قهرهم وشتت جمعهم .

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(الأعراف : ١٦٧)

فتاريخ بني إسرائيل تاريخ تآمر وإيقاد الحروب ، وإثارة الفتن وهذا ما جاء في التاريخ الإنساني – وليس التاريخ التوراتي – وأكده القرآن .

يصف القرآن الكريم اليهود وأسلافهم – فكريا لا عرقيا – من بني إسرائيل بأنهم يسعون في الأرض فسادا ، وأنهم دائما حريصون على إثارة الفتن وإشعال الحروب ، وإنهم دائما في عداوة ليس فقط لغيرهم إنما أيضا لبعضهم البعض وهذا دأبهم إلى يوم القيامة .

ويرجع فسادهم وإفسادهم إلى عداوتهم لله ورسله وخروجهم الدائم على شريعته وصدق الله العظيم حين يقول فيهم :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (المائدة : ٦٤)

فهم دائما لا يحبون إلا أنفسهم ولا يتبعون إلا هواهم مما جعلهم يكذبون فريقا من الرسل ويقتلون الفريق الآخر :

﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة : ٨٧)

وأكثرهم ناقضون لعهود الله وعهود البشر .

﴿ أَ وَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة: ١٠٠)

وكثير منهم حريصون على الحياة على أية صورة وأية حال حتى ولو كانت حياة مذلة وقهر ، المهم أن يعيشوا ويتمتعوا كالإنعام .

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

(الفرقان : ٤٤)

مما جعل الله تعالى يحرم عليهم طيبات أحلت لهم بسبب ظلمهم وصدهم عن سبيل الله ، وأكلهم الربا .

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيراً {١٦٠} وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ ﴾

(النساء : ١٦٠ ، ١٦١)

وعاقبهم الله تعالى بأن مسخ قوما منهم قردة وخنازير بسبب فسادهم وطغيانهم وفسقهم .

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾

(البقرة :٦٥)

﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾(الأعراف : ١٦٦)

قصة اليهود مع خاتم المرسلين

أما عن علاقتهم بخاتم الأنبياء وإمام المرسلين فكانت أنكى وأشد على الرغم من المعاملة الراقية التي عاملهم الرسول بها والتي لم يعاملهم أحد بمثلها من قبل ولا من بعد ، إلا أنهم قابلوا وفاءه لذمتهم بالغدر ، كما قابلوا إحسانه بالإساءة وهاك القصة يهود المدينة مع النبي من البداية ﷺ

كان يهود المدينة في حربهم مع أعدائهم– قبل أن يبعث الله محمدا ﷺ – " يستفتحون الله ، و يدعون على الذين كفروا ويقولون: اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الأمي ألا نصرتنا عليهم فينصرون ﴿ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ ﴾ يريد محمدا ﷺ ولم يشكوا فيه ﴿ كَفَرُواْ بِهِ ﴾ " (١)

﴿ وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

(البقرة : ٨٩)

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(الأعراف : ١٥٧)

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ١٤٦)

(١) جلال الدين السيوطي " الدر المنثور في التفسير بالمأثور " في تفسير قوله تعالى {فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به } .

ولِمَ يكفرون به رغم أنهم يجدونه عندهم في التوارة والإنجيل ؟

إنه الحسد والبغي إنهم يريدون رسولا من بني إسرائيل يجدد لهم وعود الله بتعبيد العرب و والاستيلاء على أرضهم ، فلما جاءهم رسول عربي و بما لا تهوى أنفسهم كفروا به .

﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنَزَلَ اللّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾

(البقرة : ٩٠)

مع أن ما أنزل به محمد ﷺ هو رسالة التوحيد التي نزل بها كل الأنبياء وهو مصدق لصحيح دينهم . لكنهم مصرون على أن يؤمنوا بما معهم من التوراة ويكفرون بما جاء بعدها حتى وإن كان منزلا من عند الله وصفات مَن أُرْسِل به مذكورة في كتبهم .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

(البقرة : ٩١)

ويدعي اليهود أن دينهم هو الصحيح و ما عاداه باطل ، فلنفترض – جدلا – أنكم تؤمنون بالتوراة وأنها صحيحة و لم تحرف ولم تبدل فلم عبدتم العجل إذن ؟!

هل موسى أمركم بعبادته ؟!

أم أن هذا دأبكم مع كل رسول تكذبونه ؟

والحقيقة أنكم ظالمون لأنفسكم بعدم إيمان أسلافكم بما جاء به موسى ، وظالمون لأنفسكم بعدم إيمانكم بما جاء به محمد ﷺ .

ما أسوأ إيمانكم ! هذا إن كنتم مؤمنين أصلا .

﴿ وَلَقَدْ جَاءكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ {٩٢} وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾

(البقرة : ٩٢ ، ٩٣)

إن كفر اليهود ليس جديدا عليهم فإن أي نبي يرسله الله لهم إذا أتاهم بما لا تهوى أنفسهم كذبوه أو قتلوه .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ {٨٧} وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾

(البقرة : ٨٧ ، ٨٨)

﴿ لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ {١٨١} ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ {١٨٢} الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىَ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ {١٨٣} بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾

(آل عمران : ٨١ – ١٨٤)

ومع كل هذا فإن الله تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يستمر في دعوة أهل الكتاب إلى عبادة الله الواحد الأحد ، ونبذ الكفر والشرك ، فإن رفضوا فهم وما يعبدون .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران : ٦٤) .

وبين الله تعالى لنبيه وسيلة الدعوة معهم – ومع غيرهم – وهي بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن .

﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(النحل: ١٢٥)

فإن أبوا إلا الكفر والجدال بالباطل فالله تعالى يأمر نبيه بعدم المراء معهم حتى لا يتطور الجدال إلى خصام وجفوة وحروب ، وأمره تعالى بترك الأمور الخلافية لله يحكم فيها بحكمه العادل يوم القيامة .

{ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } (الحج : ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩)

ويقرر الله تعالى أن الأمور العقدية لا إكراه فيها إنما هي علاقة بين العبد وربه .

﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة : ٢٥٦)

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف : ٢٩)

ويحذر الله تعالى من استخدام أسلوب الإكراه في الدعوة إلى دين الله .

﴿ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس : ٩٩)

فإن تمسكوا بدينهم فهم وما يعتقدون ، ولهم على المسلمين حسن المعاملة – إن كانوا مسالمين – و أن يكون العدل هو أساس الحكم بينهم وبين المسلمين .

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّـهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة : ٨)

ولم يكن الأمر بإقامة العدل مع اليهود بالأمور النظرية التي لا تعرف طريقها إلى التطبيق شأن كثير من القوانين الدولية بالنسبة العرب والمسلمين بل يضرب الإسلام المثل الأعلى في الحكم بالعدل مع المخالفين للمسلمين في العقيدة ، و مع حتى الذين يضمرون له السوء ، ويتربصون به الدوائر فها هو قرآن ينزله الله تعالى ليبرأ رجلا يهوديا من تهمة رماها به أحد المسلمين و شايعه فيها بعض المسلمين عصبية .. هل هذا معقول ؟!

نعم هذا شرع الله تعالى الحق الذي لا يعرف المحاباة ولا الهوى .

﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾(النساء: ٥٨)

تأمل كيف أمر الله تعالى بإقامة العدل بين جميع الناس لا فرق بين مسلم وغير مسلم وقارن هذا بما يفعله الغرب بعامة وأمريكا وحليفتها إسرائيل بخاصة فيما يخص العرب والمسلمين ؛ لتعرف الفرق .

وإليك القصة العجيبة التي تبين حرص الإسلام على إقامة العدل مع كل الناس .

أخرج ابن جرير عن ابن زيد قال : " كان رجل سرق درعا من حديد في زمان النبي ﷺ طرحه على يهودي، فقال اليهودي: والله ما سرقتها يا أبا القاسم ولكن طُرحت عليّ. وكان الرجل الذي سرق له جيران يبرئونه ويطرحونه على اليهودي، ويقولون: يا رسول الله إن هذا اليهودي خبيث يكفر بالله وبما جئت به، حتى مال عليه النبي ﷺ ببعض القول ، فعاتبه الله في ذلك فقال :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا وَاسْتَغْفِرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١)

أ بعد عدل الإسلام عدل ؟!

ينزل الله تعالى قرآنا ليبرأ فيه رجلا يهوديا من تهمة ألصقها به أحد المسلمين ، و دافع عنه – بالباطل – بعض جيرانه ، ويعاتب الله تعالى الرسول فيه !

ويستمر القرآن في الأمر بالإحسان إلى أهل الكتاب حتى بعد إصرارهم على عدم الدخول في الإسلام والتمسك بدينهم ، ويحل للمسلمين مآكلتهم وتبادل الإهداء بالأطعمة . بل يذهب الإسلام إلى ما هو أكثر من هذا حيث يحل الله تعالى زواج المسلم من الكتابية على ما للزواج من مودة ورحمة ، وحسن المعاشرة ، و ائتمان على العرض ، والأولاد .

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(المائدة : ٥)

" قد أباح اللّه نكاح الكتابية، فلا بد أن تكون المصلحة في إباحتها، إذ قد يترتب على مصاهرة الكتابي مصلحة للدين وإعزاز له أو دفع للمشاكل، والقضاء على الأحقاد والضغائن، فضلاً عما في ذلك من إعلان سماحة الدين وتساهله مع المخالفين في العقيدة من أهل الكتاب، فإن الدين يبيح للرجل أن يقترن بالكتابية وهي على دينها لا يضمر عداء لهؤلاء المخالفين، ولا يبطن لهم حقداً وإنما لم يبح للمرأة أن

(١) الإمام جلال الدين السيوطي " الدر المنثور في التفسير بالمأثور." في تفسير الآية .

تتزوج الكتابي لأن المرأة مهما قيل في شأنها لا يمكنها أن تقف في سبيل زوجها غالباً، فتكون مهددة بتغيير دينها، وأولادها لا محالة أن يتبعوا أباهم وهي لا تستطيع ردهم، والإسلام وإن تسامح فيما يجدد الروابط فإنه لا يمكنه التسامح فيما يخرج المسلم من دينه، أو يجعل ذريته من غير مسلمين، فهو قد أباح الكتابية للمسلم ونهاه عن إكراهها على الخروج من دينها، أما الأديان الأخرى فليس فيها هذا الضمان ولما كان الرجل قوياً في الغالب جعل أمر ضمانه هو وأولاده موكولاً لقوة إرادته، وحال بين المرأة ضعيفة الإرادة وبين تزوجها من الرجل الكتابي " (١)

وشدد النبي ﷺ في تحذيره من إيذاء أهل الكتاب بظلم أو بنقص حق أو بتكليفهم ملا يطيقون ، أو بالأخذ منهم شيئا بغير طيب نفس فقال : ﷺ "من ظلم معاهداً أو انتقصه حقاً، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه [أي خصيمه] يوم القيامة " (رواه أبو داود والسيوطي في زيادة الجامع الصغير)

ولقد ساوى القرآن بين حرمة الذمي ، وحرمة المسلم في الدم ، والمال ، و العرض

قال الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى :

﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾(المائدة: ٤٥)

" قال الكوفيون والثوري : يقتل الحر بالعبد ، والمسلم بالذمي ، واحتجوا بقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى" فعم ، وقوله : "وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس" [المائدة: ٤٥] قالوا: والذمي مع المسلم متساويان في الحرمة التي تكفي في القصاص وهي حرمة الدم الثابتة على التأبيد ، فإن الذمي محقون الدم على التأبيد ، والمسلم كذلك ، وكلاهما قد صار من أهل دار الإسلام ،

(١) عبد الرحمن الجزيري " لفقه على المذاهب الأربعة" ج ٤ مبحث المحرمات لاختلف الدين .

والذي يحقق ذلك أن المسلم يقطع – يده – بسرقة مال الذمي ، وهذا يدل على أن مال الذمي قد ساوى مال المسلم ، فدل على مساواته لدمه إذ المال إنما يحرم بحرمة مالكه " (١)

وعن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما– مرفوعاً " من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً " (رواه البخاري)

والمدهش أن النبي ﷺ لا يكتفي بحسن معاملة أهل الكتاب وهم أحياء فقط بل يراعي إنسانيتهم بعد الموت حتى لا يظن ظان أن الإسلام إنما كان يرمي من حسن معاملتهم وهم أحياء ترغيبهم في الدخول في الإسلام فقط فها هو النبي ﷺ يقوم لجنازة يهودي عندما مرت به ويستنكر على من ظن أن نفس اليهودي بلا حرمة قوله: " إن رسول الله ﷺ مرت به جنازة ، فقام ، فقيل : إنه يهودي ، فقال أليست نفساً؟" (متفق عليه)

وحسن معاملة الرسول لليهود بدأت من أول نزوله المدينة ويتضح ذلك جليا في وثيقة المدينة التي وادعهم فيها ولقد جاء فيها .

" إنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ؛ وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ؛ وإن ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يُوتِغُ –يهلك– إلا نفسه ، وأهل بيته وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ؛ وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ؛ وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم ؛ وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ؛ وإن النصر للمظلوم ؛ " (٢)

---

(١) " تفسير القرطبي " للآية الكريمة .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ، سيرة ابن هشام باب وموادعته– ﷺ– اليهود الذين كانوا بالمدينة.

هذا ما كان من أمر الإسلام ورسوله في معاملة يهود المدينة التي اتسمت بحسن المعاملة من أول لقاء بينه وبينهم في المدينة .

والسؤال هنا هل راعى اليهود هذه المعاملة الحسنة ؟ هل تخلوا لو لمرة واحدة في تاريخهم عن نقضهم للعهد وإثارتهم للفتن ؟

اللهم لا..فهم لن يرضوا عن المسلمين إلا إذا اتبعوا دينهم وصاروا مثلهم و إلا فليثيروها فتنة وليشعلوها حربا .

﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى ﴾(سورة البقرة آية: ١٢٠)

وها هي أفعالهم الدنيئة مع رسول الله فقد أرادوا قتل النبي ﷺ عندما ذهب إليهم يستعينهم في دية- بموجب العهد الذي بينه وبينهم- " عن ابن عباس قال "أن عمرو بن أمية الضمري حين انصرف من بئر معونة، لقى رجلين كلابيين معهما أمان من رسول الله ﷺ فقتلهما ولم يعلم أن معهما أمانا من رسول الله ﷺ فذهب رسول الله ﷺ إلى بني النضير ومعه أبو بكر وعمر وعلي، فتلقاه بنو النضير فقالوا: مرحبا. يا أبا القاسم، لماذا جئت ؟ قال: رجل من أصحابي قتل رجلين من بني كلاب معهما أمان مني، طلب مني ديتهما، فأريد أن تعينوني. قالوا: نعم، أقعد حتى نجمع لك. فقعد تحت الحصن وأبو بكر وعمر وعلي، وقد تآمر بنو النضير أن يطرحوا عليه حجرا، فجاء جبريل فاخبره بما هموا به، فقام بمن معه، وأنزل الله ﴿ يَا أَيُّهَآ الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾(المائدة : ١١) (١)

(١) الإمام جلال الدين السيوطي " الدر المنثور في التفسير بالمأثور." في تفسير الآية .

وكرر اليهود المحاولة محاولة قتل النبي ﷺ مرة ثانية لكن هذه المرة ليس بإلقاء حجر عليه إنما بالسم " قالت عائشة رضي الله عنها : كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه :

(يا عائشة ، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري– عرق مرتبط بالقلب إذا انقطع مات الإنسان – من ذلك السم).

(وطعام خيبر) هو اللقمة التي أكلها من الشاة التي سمتها اليهودية وقدمتها إليه في غزوة خيبر فأكل منها لقمة وقال إن هذه الشاة تخبرني أنها مسمومة وأكل معه منها بشر فمات " (١)

وقد نقضوا عهد رسول الله ، وعاهدوا الأحزاب – سرا – كعادتهم في معاهدة الأطراف المتصارع معا فلما كفى الله تعالى المسلمين شر الأحزاب ذهب إلى اليهود وأعمل فيهم السيف ومن بقي حيا أجلاه عن المدينة وإليك القصة كما جاءت في تفسير ابن كثير .

" إن (بني قريظة) لما قدمت الأحزاب ، ونزلوا على المدينة نقضوا ما كان بينهم وبين رسول اللّه ﷺ من العهد، وكان ذلك بسفارة (حيي بن أخطب) لعنة اللّه دخل حصنهم ، ولم يزل بسيدهم (كعب بن أسد) حتى نقض العهد ، بهذا نقضت قريظة العهد ولما وبلغ ذلك رسول الله ﷺ ساءه وشق عليه وعلى المسلمين جداً ، فلما أيده اللّه تعالى ونصره ، وهزم الأحزاب وحده ورجع رسول اللّه ﷺ إلى المدينة مؤيداً منصوراً، ووضع الناس السلاح، فبينما رسول اللّه ﷺ يغتسل من وعثاء تلك المرابطة، في بيت أم سلمة رضي اللّه عنها ، إذ تبدى له جبريل عليه الصلاة والسلام متعجراً بعمامة من إستبرق على بغلة عليها قطيفة من ديباج، فقال: أوضعت السلاح

(١) الإمام المناوي " فيض القدير شرح الجامع الصغير " ج ٥ حرف الميم .

يا رسول اللّه؟ قال ﷺ : "نعم"، قال: لكن الملائكة لم تضع أسلحتها، ثم قال: إن اللّه تبارك وتعالى يأمرك أن تنهض إلى بني قريظة، فنهض رسول اللّه ﷺ من فوره، وأمر الناس بالميسر إلى بني قريظة وكانت على أميال من المدينة وقد استخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضي اللّه عنه، وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب رضي اللّه عنه، ثم نازلهم رسول اللّه ﷺ وحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، فلما طال عليهم الحال نزلوا على حكم (سعد بن معاذ) سيد الأوس رضي اللّه عنه، لأنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية، فعند ذلك استدعاه رسول اللّه ﷺ من المدينة ليحكم فيهم، فلما أقبل وهو راكب على حمار قد وطئوا له عليه جعل الأوس يلوذون به ويقولون: يا سعد إنهم مواليك فأحسن فيهم، ويرققونه عليهم ويعطفونه، وهو ساكت لا يرد عليهم، فلما أكثروا عليه قال رضي اللّه عنه: لقد آن لسعد أن تأخذه في اللّه لومة لائم، فعرفوا أنه غير مستبقيهم، فلما دنا من الخيمة التي فيها رسول اللّه ﷺ قال رسول اللّه ﷺ : "قوموا إلى سيدكم" فقام إليه المسلمون، فأنزلوه إعظاماً وإكراماً واحتراماً له في محل ولايته ليكون أنفذ لحكمه فيهم، فلما جلس قال له رسول اللّه ﷺ : "إن هؤلاء – وأشار إليهم – قد نزلوا على حكمك فاحكم فيهم بما شئت" فقال رضي اللّه عنه: وحكمي نافذ عليهم؟ قال رسول اللّه ﷺ :

"نعم" قال: وعلى من في هذه الخيمة ؟ قال: "نعم"، قال: وعلى من ههنا، وأشار إلى الجانب الذي فيه رسول اللّه ﷺ فقال له رسول اللّه ﷺ : "نعم"، فقال رضي اللّه عنه: إني أحكم أن تقتل مقاتلتهم وتسبي ذريتهم وأموالهم، فقال له رسول ﷺ : "لقد حكمت بحكم اللّه تعالى من فوق سبعة أرقعة " (1)

(1) تفسير ابن كثير ج ٣ للآية الكريمة { وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا } (الأحزاب : ٢٦) .

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾(الأعراف : ١٦٧)

أهؤلاء هم الضحية التي يتحدثون عنها ؟

أ هؤلاء من يستحقون وعد الله لإبراهيم كما يزعمون ؟

إنهم أنجس من خَلَقَ الله على وجه البسيطة ، و إن ما حدث لهم على مدى التاريخ كان جزاء وفاقا .

نأتي إلى من يصفون أنفسهم بالضحية – وقد بينا كذب ادعائهم هذا – ماذا فعلوا بالعرب عندما زرعهم الغرب في أرضنا ؟

إن ما فعلوه ويفعلوه لتشيب لهوله رأس الوليد ، من قتل للأبرياء ، وتشريد للآمنين ، وهدم للبيوت الآهلة بالسكان ، وإهلاك للحرث والنسل .

* * *